

جوهر الفكرة الإسلامية من قضية المرأة



على الرغم من ازدهار الدراسات الإسلامية وتوسيع الاهتمام بها في مختلف مراكز البحث العلمي والأكاديمي في أنحاء متفرقة من العالم، إلا أنّ الملاحظ أنّ ذلك لم يشمل المرأة بكثير. فالباحث من دراسات وبحوث ومحاضرات وتعليقات وما إلى ذلك في مجال دراسات النساء لا يبعد أن يكون جزءاً من جهود تقليدية تميل إلى التماس أو تبني أحد طريقتين: إما أن ينحى باللائمة على الإسلام ليحمله مسؤولية التخلف الاجتماعي والحضاري الذي تعاني منه النساء في عدد كبير من البلدان الإسلامية المعاصرة وبضمنها البلدان العربية المسلمة. وإما أن يبالغ في تأكيد التوجهات التحررية بل وحتى الثورية لدرجة تجرد الإسلام بالمحصلة مما هو إسلامي. في كلتا الحالتين، تضيع الجذور العلمية، والفكرية والأدبية في دراسات من هذا النوع. نستثنى من ذلك عدداً محدوداً من الدراسات العلمية الجادة والموثقة في مجال علم الاجتماع.

في هذه الدراسة، سنبدل جهداً علمياً وفكرياً لتحديد الخطوط العامة الرئيسية لموقف الإسلام من قضية المرأة، منطلقين في ذلك من عدد من المبادئ العامة الرئيسية في مجال النظرية في علم الاجتماع المعاصر. الهدف من ذلك هو البحث عما هو أساس وأولي وجوهري وكلي، على النقيض مما هو ثانوي وها مشي ومحدد ومعزول في الموقف الإسلامي من قضية المرأة. بكلمات أخرى، فإننا سنبحث عما هو عام وشامل ليقف

- مقدمات معرفية في المنهج:

قبل الشروع بعرض المخطط، يبدو أنّ من المفيد تثبيت عدد من المسلمات الفكرية التي تقوينا هنا: أوّلاً: إننا لا نتناول الإسلام على اعتبار أزّه نظام ديني وعقائدي مجرد، وإنما على اعتباره نظاماً اجتماعياً وحضارياً متميزاً. أو على اعتبار أنّ الإسلام يمثل طريقةً متميزةً في الحياة. أو لنقل طريراً مختلفاً في الحياة. وهذا يعني أنّ الحياة في المجتمع المسلم لا تستلزم بالضرورة أفراداً متدينين يؤمنون بعدد من المعتقدات الدينية ضمن منظومة دينية محددة، ويمارسون عدداً من الطقوس الدينية ذات العلاقة فحسب. وإنما، تستلزم الحياة في المجتمع المسلم أفراداً ومؤسسات تفهم وتقبل النظام الذي يرتّيه الإسلام نصاً وروحًا. وقد يكون التدين في هذه الحالة عاملًا من عوامل تسهيل الأمر.

ثانياً: عند تناول الموقف الإسلامي من قضية المرأة لابدّ من الاهتمام بالموقف المبدئي الكلي للإسلام من كثير من القضايا الأخرى. فالإسلام بتناوله لقضية المرأة أو أي قضية أخرى إنما يؤكد على فكرة رئيسية مركبة لابدّ من استحضارها، وهي فكرة الإيمان باهـ وبوحدانيته والتسليم بإرادته والخضوع لمشيئته، والإلتزام بتعاليمه. فالموقف الإسلامي تجاه أي قضية إنما يبدأ وينتهي بهذه الفكرة. وهنا أيضاً، يحتاج الفرد لكي يكون مؤمناً بهذه الفكرة أن يكون مطلعاً عليها، عارفاً بها، مستوعباً لها وإلا يصعب عليه أن يكون متوفهاً لروحية المجتمع الإسلامي وهذا أمر مهم. نأخذ على سبيل المثال، مفهوم العلم في الإسلام الذي يبدأ أوّلاً من العلم باهـ ونقرأ بهذا الشأن ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عبد الرحمن بن نعيم "إن العمل والعلم قربان فكن عالماً باهـ عاماً له فإن أقواماً علموا ولم يعلموا فكان علمهم عليهم وبالاً". وقال أيضاً "من عمل على غير علم كان يفسد أكثر مما يصلح، أي من عمل بغير علم باهـ. وبقع هذا التحديد لمفهوم العلم في الإسلام على النقيس من التحديد الغربي لمفهوم العلم، والذي يقوم على فكرة العقلانية التجريبية المستندة إلى مبادئ الافتراض والاختبار والتحقق والقياس والعمليم وما إلى ذلك. كذلك الحال في الموقف من قضية المرأة الذي يرتبط بهذه الفكرة ويتحدد بها، أي فكرة الإيمان باهـ وإرادته ومشيئته وتعاليمه.

ثالثاً: مع أزّه لا يُحبذ التعبير عن مواقف وآراء تنطوي على نوع معين من إطلاق الأحكام والتقييمات وبخاصة في عمل أكاديمي علمي من هذا النوع، إلا أننا لا نجد ضيراً في وصف الموقف الكلي للإسلام باعتباره إيجابياً تجاه المرأة في المجتمع. فالإسلام لم يعلن الحرب ضد المرأة كما يُظن أو يُشاع أحياً. بل على العكس من ذلك، خصّ الإسلام المرأة بكل ما يمكن أن يساهم بتنظيم مكانتها ودورها في الجماعة، على نحوٍ يحفظ حقوقها ويصونها.

ويمكن التحقق من إيجابية الموقف المبدئي للإسلام من خلال إلقاء نظرة كلية شاملة لعدد من المصادر

الرئيسية في الإسلام كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومجموعة مختارة من كتب المسلمين المعروفيين كالأمام أبو حامد الغزالى. خذ على سبيل المثال ما جاء في سورة "المؤمنون" (وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طَينٍ) (المؤمنون/ 12). وما جاء في سورة "الزمر" (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (الزمر/ 6)، وفي سورة "النساء" (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء/ 1). جاء في (إحياء علوم الدين) إن آخر ما وصى به الرسول (ص) حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه "إِنَّمَا أَنْتَ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي".

رابعاً: يبدو من المفيد الإشارة إلى أنّ الاهتمام الواسع الذي تحظى به موضوعات من هذا النوع يفرض ضرورات التوجه إلى جمهور عريض ومتتنوع من المربيين والراغبين والمتعلمين والمهتمين والمتابعين إضافة إلى الأوساط العربية المسلمة.

خامساً: هناك ملاحظة حول طريقة القيام بالدراسة. على النقيض مما هو متعارف عليه بمراجعة مصادر التراث الإسلامي في صورة عدد من المفاهيم الاجتماعية شائعة الاستخدام كما هو الحال في المساواة والحرية والتحرر وما إلى ذلك. فقد قمنا هنا بشيء مختلف حيث سبقت المراجعة عملية استخدام وتطبيق المفاهيم. أي أنّ الاستعانة بالمفاهيم تلت المراجعة فكان أن استمدت المفاهيم من مصادر التراث الإسلامي لتكون الوسيلة للالتقاء أو بلوحة الفحوى ومضمون الفكرة الإسلامية في محاولة لعرضها بطريقة تسهل أمر فهمها واستيعابها، ومن ثمّ استخدامها وتطبيقها في الحياة العملية.

- نقد دراسات نسائية معاصرة حول المرأة:

من المؤكد أنّ المرأة لم تحظى بنصيب وافر في التعبير عن وجهة نظرها العلمية والمتخصصة في فهم وتفسير وعرض التراث الإسلامي وتأثيره على مختلف جوانب الحياة في المجتمع. ففي هذا الجانب من جوانب النشاط العلمي والثقافي والأكاديمي غلب الجهد الذي بذله الرجال على الجهد الذي بذلته النساء. وينعكس ذلك في مجالات عدة منها مجال حفظ القرآن وتفسيره وتأويله والإجتهداد فيه. ولكن، بسبب تأثير النشاط المتزايد للحركة النسائية الدولية والذي اتضح على نحو أكثر حضوراً مؤخراً، برزت بعض المحاولات الثقافية والفكرية التي سرعان ما أعقبتها محاولات علمية متخصصة في مختلف حقول المعرفة العلمية ومنها علم الاجتماع المعاصر. بما أنّ الدراسة الحالية امتداد لهذا الجهد، أي أنها خطوة أخرى على طريق تأكيد الحضور النسائي في مجال الدراسات الإسلامية الخاصة بالمرأة، فإنّ من المفيد التوقف عند عدد مختار من هذه المحاولات على نحو سريع.

عزت نادية يوسف حاج: أسباب انخفاض معدلات تعليم وعمل النساء في عدد من البلدان العربية المسلمة

بالمقارنة إلى الإرتفاع النسبي لمعدلات تعليم وعمل النساء في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، إلى الموقف الأخلاقي والقيمي المتشدد للإسلام تجاه المرأة. في هذه الدراسة، فإنّ الموقف الإسلامي برمته يُسند إلى فكرة شرف العائلة Honor Family وعذرية الأنثى Virginity Female. بسبب الحرص على المحافظة على شرف العائلة وسلامة سلوك المرأة من خلال منع اختلطها بالغرباء من الرجال خارج حدود العائلة، انخفضت معدلات تعليم وعمل النساء في المجتمعات العربية المسلمة. بالمقابل، لم يحدث شيء من هذا النوع في مجتمعات أمريكا اللاتينية. رغم أنّ مجتمعات أمريكا اللاتينية تتصرف بتراث ديني كاثوليكي متشدد، إلا أنّ التعارض بين القيم المثالبة الدينية للكنيسة الكاثوليكية والقيم المدنية الواقعية السائدة في هذه المجتمعات أدى إلى إعطاء النساء مجالاً للتصرف على نحو مختلف، مما ساهم بالمحصلة في الإرتفاع النسبي لمعدلات التعليم والعمل بالمقارنة مع هذه المعدلات في المجتمعات العربية المسلمة.

وفي دراسة أخرى اعتمدت على مراجعة وعرض وتحليل آراء الإمام أبو حامد الغزالى عز فاطمة الميرنissi أسباب تدهور المكانة الاجتماعية والقانونية للمرأة في المجتمع العربي المغربي على سبيل المثال إلى مفهوم جنسية الأنثى Sexuality Female. طقاً لما جاء في هذه الدراسة، فإنّه بسبب اعتقاد الإسلام بما تملك المرأة لطافة جنسية هائلة، توفرت القناعة لمحاولة السيطرة عليها، من خلال ثلاث وسائل اجتماعية ذات طبيعة مؤسسية:

- 1- إعطاء الرجل حق إيقاع الطلاق من جانب واحد.
- 2- فرض نظام تعدد الزوجات.
- 3- فرض نظام العزل أو الفصل الجنسي.

أما الأنثروبولوجية المعروفة أمل رسام فقد شاركت في عدد من المؤتمرات ونشرت عدداً من المقالات التي خلصت من خلالها إلى أنّ الفصل بين الجنسين لا يمثل مشكلة قائمة بحد ذاتها. إنما تكمن المشكلة في ميل المجتمع العربي الأبوي المسلم إلى ترجيح وجهة النظر الذكورية أو الرجالية View of Point Male باعتبار عالم الرجال أكثر أهمية ومركزية وحيوية من عالم النساء الهاشمي والثانوي والراكد.

- الإسلام والمرأة:

من خلال قراءتنا للنص الديني ولعدد من مصادر التراث الإسلامي بهدف تعقب الموقف الإسلامي من قضية المرأة وبقدر ما يتعلق الأمر بالمكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي للمرأة يتضح أنّ الإسلام يأخذ بعين الاعتبار الفروقات بين النساء والرجال. ولنا في هذا المجال أنّ نستشهد بالآية القرآنية الكريمة من سورة البقرة (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) (البقرة/ 228)، ومن سورة النساء (الرِّجَالُ قَوْمٌ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء/ 34). إلا أنّ الإسلام لا يسمح بالعنف والتعسف والاستغلال لذلك فإنّه يستدرك قائلاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا كُونُوا قَوْمَيْنَ بِالْقُسْطِ) (النساء/

135). أي إنّ القوة والتسلط متحكمان بعامل العدل والإنصاف في المعاملة.

في البحث عن مفهوم نظير لمفهوم المساواة شائع الاستعمال لتوسيع العلاقة بين الرجال والنساء في المجتمع المسلم وعلى نحو يجسد روحية الموقف الإسلامي نجد أنّ شيئاً من هذا النوع إنما يوجد في مفهوم التباين أو الاختلاف Differentiation. وتظهر النظرة الإسلامية التي تستند إلى مفهوم التباين أو الاختلاف واضحة وثابتة ومتسقة مع مفاهيم أخرى لاحقة في أوّل مصادرين رئيسيين من مصادر التراث الإسلامي: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. في مجال علم الاجتماع يحدد مفهوم التباين أو الاختلاف على أنّه السمات العضوية والجنسية وبالتالي النفسية والاجتماعية والحضارية المميزة للرجال والنساء. وفي العودة إلى مصادر التراث الإسلامي نجد أنّه لا تكاد تخلو إشارة إلى النساء دون التأكيد ضمناً أو عليناً على حقيقة أنّهن يختلفن عن الرجال. وأنّ هذا التباين أو الاختلاف إنما هو تعبير عن الإرادة الإلهية التي لا سبيل إلى تغييرها أو تعديلها أو مقاومتها أو التأثير عليها. خذ على سبيل المثال ما جاء في سورة البقرة (وَإِذْ نَجَّيْتَنَا كُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَ زَكُمْ سُوءَ الدُّعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ) (البقرة/49). ومن سورة البقرة أيضاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَدْلَى الْحُرُمَ بِالْحُرُمَ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَزْدَى بِالْأَزْدَى) (البقرة/178). ومن سورة آل عمران (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي وَضَعَتْهَا أُرْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُرْثَى) (آل عمران/36). ومن سورة النساء (لَمْ يَرِ جَالِ نَصِيبُ مِمْمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبَيْنَ مِمْمَا فَلَمْ يَنْهَا ذَكَرٌ وَأُرْثَى) (النساء/7)، وفي سورة الحجرات نقرأ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُرْثَى) (الحجرات/13). ومن سورة النحل (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُرْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَذِكْرِي يَنْدَمِنُهُ حَبَّاتٌ طَبَرِيَّةٌ وَلَذِكْرِي يَنْدَمِنُهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/97). ومن سورة النبأ (وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْجَاجًا) (النبأ/8).

وفي استكمال القراءة في النص الديني ومصادر التراث الإسلامي نفهم أنّ الإسلام يرى أنّ المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي للمرأة إنما يعتبر مكملاً للمكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي للرجل. فالتباهي أو الاختلاف لا يفترض أن يكون قطعياً أو فاصلاً، وإنما مدعماً بعامل آخر هو التكامل كما . المفهوم لهذا محدد تعريف من تخلو المعروفة الاجتماعية المصادر Complementarity. أن يلاحظ تخلو القواميس المتخصصة من ذلك. لذا نكتفي هنا بمراجعة معنى المفهوم في قواميس عامة تحدد التكامل على أنّه تتمة الشيء بالشيء. ومن هنا يدخل مفهوم تقسيم العمل Labor of Division. يستند مفهوم تقسيم العمل إلى فكرة قيام الرجل والمرأة على سبيل المثال بأعمال مختلفة ومميزة ولكنها متممة لبعضها البعض. لأن يقوم الرجل بالعمل خارج المنزل لتأمين قوت العائلة فيما تقوم المرأة بتحمل

أعباء المنزل ورعايتها شؤون الزوج والأطفال. في هذا المجال نذكر، أنّه لا خلاف على المفهوى الكبير لدور المؤسسة العائلية باعتبارها المؤسسة الأكثر أهمية وأساسية في المجتمع. هناك الكثير من النتائج المؤثرة التي يزخر بها عدد كبير من الدراسات النفسية والاجتماعية المحدثة في هذا المجال. خلصت هذه الدراسة إلى أنَّ السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان إنما هي من المراحل التكويرية الهامة في شخصيته. وإن فترة المراهقة بين سن 12-16 سنة أشبه ما تكون بولادة جديدة في حيّان الإنسان مما يتبعها إعاده بناء أو تتعديل شخصيته. من خلال نتائج من هذا النوع، لنا أن نقدر الأمانة العظيمة التي يضعها الإسلام بيد وضمير قلب المرأة المسلمة. فالجهد الذي تبذله الأم في رعاية الطفل ابتداءً من إطعامه وإيوائه وحمايته والملاحة معه وممارسة مختلف أنواع التفاعلات الاجتماعية معه، إنما يعتبر جهداً عظيماً يوجب لها نصيباً متوازناً في الأهمية. وهذا ما فعله الإسلام مما يرتبط إرتباطاً مباشراً بسلامة الموقف الفكري للإسلام من مكانة دور المرأة في العائلة والمجتمع. نقرأ في هذا المجال من سورة لقمان (وَوَمَّا يَنْدَمُ إِلَّا سَانَ بِرَوَالِدَيْهِ حَمَاتَدَهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهُنَّ فِي عَامَيْنَ أَنَّ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيْهِ الْمَصَرِيرُ) (لقمان/14). وفي الحديث النبوى الشريف قال عبد الله بن عمر: "سمعت رسول الله يقول لكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته. الرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها". وأخيراً وليس آخرًا جاء في الحديث النبوى الشريف: "من صبر على سوء أمراته أعطاها من الأجر مثل ما أعطى أيّوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل ثواب آسية فرعون".

ويأتي مفهوم التعاون Cooperation ليأخذ مكانه في المنظومة الفكرية للإسلام مؤكداً ضرورة أن تخلو العلاقة الإنسانية بين المرأة والرجل من عناصر التناحر والتناحر والمنافسة الهدامة. وينعكس الموقف الإسلامي في هذا المجال من خلال التأكيد على ضرورة الاعتدال والتزام الأدب في التعامل مع مختلف جوانب الحياة الزوجية بما في ذلك الطلاق. نقرأ في هذا المجال من سورة النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ شَقَاقَ بَيْنَ زَوْجِهِمَا فَلَا يَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَ زَوْجِهِمَا) (النساء / 35). ومن سورة الأحزاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَ وَزَهَّا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّهُوْهُنَّ سَرَّاهُمْ جَمِيلًا) (الأحزاب / 49). ومن الحديث النبوى الشريف جاء عن الأسود بن يزيد قال سألتُ عائشة (رض): ما كان النبي (ص) يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الآذان خرج. أي كان (ص) متتعاوناً مع أهل بيته خدوماً لهم.

إنّ رؤية شمولية وعظيمة كالرؤى الإسلامية لا يمكن أن تقف عند حدوث اكتشاف أو رصد الجوانب الإيجابية في الحياة الاجتماعية والحضارية فحسب. وقد حاولنا عرض هذه الجوانب من خلال المفاهيم التي مرّ ذكرها أعلاه، التباين أو الاختلاف، التكامل، والتعاون. فالإسلام استطاع ولا شك أن يضع عدداً من التوقعات في إطار ما هو سلبي وغير صحي وغير طبيعي إذا صح التعبير. وتتمثل مثل هذه الخصائص كالسلبية وانعدام الصحة وانعدام النزعة الطبيعية في أنّ الحياة الاجتماعية تنطوي على الصراع والتغيير والتناحر والنفرة والمنفحة بممثل ما تنطوي على السلام والألفة والنظام والتعاون والمواعدة. لذلك، وبقدر ما يتعلق الأمر بالعلاقة بين الرجال والنساء ارتأى الإسلام الفصل فيما بينهما انسجاماً مع روحية المفاهيم المار ذكرها أعلاه. ويمكن الاستدلال على الفصل أو العزل الجنسي في الإسلام من خلال فيض كبير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. نقرأ على سبيل المثال من سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا لَا يَسْخَرُوْنَ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ) (الحجرات/ 11). ومن سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) (الممتحنة/ 10). ومن سورة الممتحنة أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَأِ يَعْنِدَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْمِرْ قُنَّ وَلَا يَأْزِرْ زَيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْ لادَهُنَّ وَلَا يَأْمَرْنَ بِإِذْهَانِ يَهْتَرِيَنَّ وَلَا يَأْمَرْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَهِنَّ وَلَا يَأْمَرْنَ صَيْدَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَأِمَاعِهِنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الممتحنة/ 12). وفي الحديث النبوي الشريف جاء عن ابن عباس قوله: "إنّ رسول الله (ص) خرج ومعه بلالي فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهنّ وأمرهنّ بالصدقه". وعن ابن سعيد (رض): "إنّ النساء قلن للنبي (ص) أجعل لنا يوماً فوعظهنّ". وفي الدخول على النساء جاء عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله (ص) قال: "إياكم والدخول على النساء".

من خلال هذا يمكننا ملاحظة أنّه بغية توفير الأرضية المناسبة لاستخدام المغزى الذي يمكن الحصول عليه من مفاهيم التباين، التكامل، والتعاون، رسم الإسلام طريقةً آمنة من خلال الفصل بين الجنسين. وبذلك حاول الإسلام أن يوفر ظروفاً عادلة ومنصفة لتفاعل الطرفين، الرجال والنساء. وبالتالي، فإنّ الهدف من الفصل بين الجنسين لم يكن لإذلال المرأة وترويضها والحط من شأنها وإنما لتوفير ظروف عادلة ومتكافئة بينهما. عموماً، فإنّ التصور الإسلامي لقضية المرأة كما اجتهدنا في قراءته فهمه وتفسيره وعرضه ينطوي على عدد من المزايا الهامة:

أولاً: إنّ تأكيد الإسلام على مسألة التباين أو الاختلاف بين النساء والرجال لم يكن ليRAD منه الإساءة إلى المرأة بقدر ما أريد منه تأكيد الشخصية المستقلة والمتميزة لكلٍّ منها. وفي هذا مصدر قوة بخلاف

من أن يكون مصدر ضعف، إذ أنّ التباين في المفهوم الإسلامي يمنع أن يذوب أي من الطرفين في بوتقة الآخر.

ثانياً: يضع الفصل أو العزل الجنسي أساس حياة اجتماعية وحضارية سليمة تقف دون الاستغلال والتمييز والتفاوت والإضطهاد الناجم عن الخلط في تقدير مزايا وإمكانات وقدرات الطرفين المتباينة تماماً. في خضم ما وصلت إليه الحياة الاجتماعية في المجتمع المعاصر، فإنّ الإسلام يوفر حلولاً لقضايا لم يتم الإنتهاء منها بعد. فالفصل الجنسي فكرة أو ممارسة تلهم بآراء وأفكار يمكن أن تساعده على وضع حلول لسلسلة طويلة وعريضة من مشاكل الإنسان المعاصر. من ذلك أن تقييم عمل النساء على سبيل المثال في مؤسسات العمل الرسمية أو المؤسسات الاجتماعية المحدثة الأخرى ينبغي أن يستند إلى معايير تأخذ بنظر الاعتبار تباين إمكانات وكفاءات ومواهب النساء عن الرجال، وبذلك تغنى كليهما من أن يُحكم أو يُقيّم في ضوء المعايير أو المقاييس المناسبة للثاني. وفي حالات الصراع والمنافسة والتي تشكل الحالة الطبيعية في الحياة الإنسانية، فإنّ الفصل بين الجنسين يضمن توفير أجواء أكثر إنصافاً للأطراف المتصارعة أو المنافسة. فإذا ما نظرنا إلى واقع الحال، وفي ضوء ما آلت إليه الأمور حيث يدخل الرجال في منافسة مباشرة مع النساء في كثير من المؤسسات المشار إليها نجد الكثير من حالات الغبن والإضطهاد والشعور بخيبة الأمل. يحدث هذا بسبب اضطرار العديد من النساء والرجال في منافسات غير عادلة إطلاقاً نتيجة تطور الوضع إلى ما تطور إليه.

المصدر: مجلة الكلمة/ العدد 22 لسنة 1999م